

دلائل الإعجاز

(ولكننا يا أمّ عمرٍو نديمنا ... بمنزلة الرّيانِ ليسَ بعائمٍ) .

أسّركِ . . . البيتين .

فإِذَا رُبُّ هَزَلِ أَدَاةً فِي جِدِّهِ وَكَلَامٍ جَرَى فِي بَاطِلٍ ثُمَّ اسْتَدْعَيْنَ بِهِ عَلَى حَقِّهِ كَمَا أُنْزِهَ رُبُّ شَيْءٍ خَسِيسٍ تَوْصِيَةً بِهٖ إِلَى شَرِيفٍ بِأَنَّ صُرْبَ مِثْلًا فِيهِ وَجُعِلَ مِثَالًا لَهُ . كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ - الْكَامِلُ - :

(وَاللَّهِ قَدَّ صَرَبَ الْأَقْلَسَ لِنُورِهِ ... مِثْلًا مِنْ الْمَشْكَاةِ وَالنَّيْرَاسِ) .

وعلى العكس فربّ كلمةٍ حقٍّ أريدَ بها باطلٌ فاستحقَّ عليها الذمَّ كما عرفتَ من خَبَرِ الْخَارِجِيِّ مَعَ عَلِيِّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَرَبُّ قَوْلٍ حَسَنٍ لَمْ يَحْسُنْ مِنْ قَائِلِهِ حِينَ تَسَبَّبَ بِهِ إِلَى قَبِيحٍ كَالَّذِي حَكَى الْجَاحِظُ قَالَ رَجَعَ طَاوُوسٌ يَوْمًا عَنْ مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ وَهُوَ يَوْمئِذٍ وَالِي الْيَمَنِ فَقَالَ مَا ظَنَنْتُ أَنْ قَوْلَ " سُبْحَانَ اللَّهِ " يَكُونُ مَعْصِيَةً □ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ سَمِعْتُ رَجُلًا أَبْلَغَ ابْنَ يَوْسُفَ عَنْ رَجُلٍ كَلَامًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَالْمُسْتَعْظَمِ لِذَلِكَ الْكَلَامِ لِيُغْضِبَ ابْنَ يَوْسُفَ .

فبهذا ونحوه فاعتبره واجعله حُكْمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّعْرِ .

وبعدُ فكيفَ وضعَ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَكَ وَكَسِبَهُ الْمَقْتَةَ مِنْكَ أَنْزَلَكَ وَجَدْتَ فِيهِ الْبَاطِلَ وَالْكَذِبَ وَبَعْضَ مَا لَا يَحْسُنُ وَلَمْ يَرْفَعْهُ فِي نَفْسِكَ وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ الْمَحَبَّةَ مِنْ قَلْبِكَ أَنْ كَانَ فِيهِ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالْحِكْمَةُ وَفَصْلُ الْخِطَابِ وَأَنْ كَانَ مَجْنُونِي ثَمَرَ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ وَمُجْتَمَعِ فِرْقِ الْأَدَابِ وَالَّذِي قَيَّدَ عَلَى النَّاسِ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةَ وَأَفَادَهُمُ الْفَوَائِدَ الْجَلِيلَةَ